مخطوطة في الطب النبوي بمكناس
لابن صاحب الصلاة*

للأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي

تناهت إلي أخبار لائحة المخطوطات التي كان أمين خزانة الجامع الكبير بمدينة مكناس قام بإعدادها سنة ١٩٧٢، وقد كانت اللائحة تحتوي فيما تحتوي عليه، على عنوان (شرح الأحكام) لابن صاحب الصلاة : الجزء التاسع والعاشر بدون أية معلومة زائدة [١].

وبالنظر لما يربطني من صلةٍ سابقةٍ بأحد أعلام الغرب الإسلامي ممن كانوا يحملون اسم ابن صاحب الصلاة ، هو عبد المالك بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الباجي، المكنى أبا مروان وأبا محمد وأبا عبد الله ، والشهير بابن صاحب الصلاة مؤلف تاريخ الموحدين المعروف تحت عنوان (المن بالإمامة على المستضعفين ..) [٢] بالنظر لذلك فقد شغلت بأمر هذا المخطوط أو بالأحْرى أمر مؤلفه ابن صاحب الصلاة. فمن يكون هذا الرجل؟ أهو المؤرخ الذي أعرف أم هو شخص ثان ؟

وقد قمت بادئ ذي بدء بالاطلاع على (شرح الأحكام) الذي زودني

---

* ألقي هذا البحث في الجلسة الرابعة عشرة من مؤتمر الدورة الخامسة والستين يوم الأحد ٣ من ذي الحجة سنة ١٤١٩هـ الموافق ٢١ من مارس (أذار) سنة ١٩٩٩م.

(١) في زيارة لي حديثة للمكتبة بمكناس 16 نوفمبر 1998 أوقفني السيد عبد السلام البراق على جزء جديد من شرح الأحكام عثروا عليه كان هو الأول على ما يعتقد وهو مبتور الورقات الأولى .. ويبتدئ هذا الموجود بالأثر الشريف : " لو يعلم المار بين يدي المصلي ما عليه ... ثم يستمر إلى أن يذكر: (باب يدل على أن الإثم إنما يكون على من علم بالذنب وارتكبه مستخفًا به ومن لم يعلم فلا إثم عليه) هذا والمخطوطة من مقياس كبير طول الورقة نحو 30 على عرض 20 وتتألف من 27 سطرًا .

(٢) هذا التأليف المخطوط يوجد أصلا في مكتبة أكسفورد ، وقد كنت حققته كرسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا عام 1963 وقد طبع ثلاث مرات 1964 بيروت 1979 بغداد 1987 بيروت ، فليرجع إليه وخاصة المقدمة .

بصورته مشكوراً القيم على الخزانة المذكورة ، وسرعان ما اتضح لي أنني أمام مؤلف ينتمي هو الآخر للعهد الموحدي لكنه ليس مؤرخا وإنما هو محدث من مستوى رفيع، وبالنظر لكون اللائحة المشار إليها لم تقدم أية معلومة عن المؤلف ولا عن التأليف، فقد حاولت أن أتعرف على ابن صاحب الصلاة هذا ، وتجمعت لدى طائفة من الأسماء وخاصة منها الأسماء التي كانت لها صلة بالحديث.

المراجع التسعة لابن صاحب الصلاة:

إن الشخصية التي كنت أنشد الوصول إلى ترجمتها لم تكن عادية ويكفي أن أشير منذ البداية إلى أن الرجل في تأليفه اعتمد على تسعة مصادر كلها تعتبر من عيون المراجع في الحديث والفقه معًا أذكرها حسب الترتيب التاريخي ...

هناك الخطابي (ت 388) [1] الذي يعتبر أول شارح لصحيح الإمام البخاري على الإطلاق وكان ابن صاحب الصلاة يعتمد عليه، والهروي (ت 401) [2] الذي يعتمد عليه في كتاب الغريبين، وعبد الوهاب (ت421) [3] الذي يعتمد عليه في

(١) هو أبو سليمان حمْد (بتسكين الميم) بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البستي ، فقيه محدث ، له تصانيف منها معالم السنن في شرح كتاب السنن الذي حققه محمد حامد الفقي، حلب 1920 – 1934ومنها (غريب الحديث) الذي جعله تتمة لكتابي أبي عبيد القاسم بن سلام (224 م) وأبي محمد عبد الله بن قتيبة (226هـ) في غريب الحديث وقد حققه عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، جامعة أم القرى، مكة 1412 – 1982، ومنها أعلام السنن في شرح صحيح البخاري الذي حققه يوسف الكتابي ، الرباط رقم الإيداع561 – 91 وقد توفي في شهر ربيع الأول 388 بمدينة بست (من بلاد كابل)..
ابن خلكان : الوفيات ، تحقيق د. إحسان عباس صادر بلبنان 1969 ج 2 ص 214.

(٢)أبو عبيد أحمد بن محمد العبدي نسبة إلى هراة إحدى مدن خراسان ، صاحب كتاب (الغريبين): جمع فيه بين تفسير غريب القرآن الكريم والحديث النبوي وقد شاع في الآفاق، كان الهروي من العلماء الأكابر .. كانت وفاته في رجب سنة 401. ابن خلكان : الوفيات ج 1 ص 95.

(٣) هو القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي ، ويعتبر من أعيان علماء الإسلام، أخذ عن أبي بكر الأبهري ، وتفقه على عدد من كبار العلماء كما أخذ عنه الكثير من أعيان الأساتذة ... كان أبو بكر الباقلاني معجبا بأبي عمران الفاسي فكان يقول : لو اجتمع في مدرستي هو وعبد الوهاب لاجتمع علم مالك : أبو عمران لحفظه وعبد الوهاب لبصره، له تآليف عديدة منها شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني (ت421). الوفيات لابن خلكان ج 3 ، ص 219 ــ 222 .

شرحه للرسالة،وابن بطال(ت449)[1]، الذي يعتمد عليه في شرح صحيح الإمام البخاري ،غالبه في فقه الإمام مالك وابن عبد البر (ت463)[2]الذي يعتمد عليه في كتابه الاستذكار بمذهب علماء الأمصار، والباجي (ت474) [3] في كتابه المنتقى، وابن رشد (ت 520)[4] الذي يعتمد عليه في تأليفه البيان والتحصيل،والمازري(ت538)[5] في كتابه إكمال المعلم بفوائد مسلم ،

(١) هو أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، المحدث الفقيه، روى عن عدد من الثقاة ، وأخذ عنه جماعة – هو صاحب شرحه المعروف على البخاري في عدة أسفار يوجد بعض المخطوط منها في خزائن المغرب توفي سنة 449 . ووقفت على بعضها بالمدينة المنورة، مكتبة الشيخ حماد الأنصاري شوال 1419 = فبراير 1999 .

ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب طبعة حجرية بفاس 1316 ص 199 ، محمد العابد الفاسي:فهرس مخطوطات خزانة القرويين ج1 ص 141 – 144 طبعة 1399 دار الكتب ، الدار البيضاء .

(٢) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها ... كاتبه الجلة من أهل المشرق ... وسمع منه الكثير، ألف في الموطأ كتبا مفيدة منها كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد .. ومنها الاستذكار بمذهب علماء الأمصار الذي يعتمده ابن صاحب الصلاة إلى آخر اللائحة الطويلة ، وليس الاستذكار اختصارا للتمهيد كما قيل ، توفي في ربيع الثاني سنة 463.
الوفيات لابن خلكان 72 ، ص 66-72.

(٣)أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف التميمي الحافظ النظار، رحل إلى المشرق سنة 426 وحج أربع حجج، وأقام بمكة أربعة أعوام مع أبي ذر الهروي ، وأكثر نسخ البخاري الصحيحة بالمغرب إما رواية الباجي عن أبي ذر سنده وإما رواية أبي علي الصدفي سنده، وأقام ببغداد عدة أعوام يدرس ويقرئ الحديث وهو صاحب شرح الموطأ ... انتقى منه كتابه (المنتقى في سبع مجلدات) ، أحسن كتاب ألف في المذهب المالكي توفي سنة 474.

الوفيات 2,408 -409 د. التازي صحيح الإمام البخاري بخط الحافظ شيخ ابن سعادة – دعوة الحق مارس 1973 –مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد 19 ج 1 مايو 1973 – مجلة البحث العلمي محرم 1385 – يناير 1973.

(٤)أبو الوليد محمد بن رشد القرطبى إليه كان المرجع في حل المشكلات الفقهية، تفقه على أعيان العلماء ، وأجازوه ، وهو صاحب (البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل) وله غير هذا من عيون التأليف توفي في ذي القعدة 520 . الوفيات ج 7 ، ص 135.

(٥) أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري كان واسع الاطلاع والباع ... ومما أثر عنه في دروسه أنه كان يمزج دروسه بحكايات تنشط طلبته ويقول: إنها جند من جنود الله ! أخذ عن فطاحل العلماء كما أخذ عنه أعيان العلماء كان من هؤلاء ابن الفرس وابن تومرت وابن رشد الحفيد والقاضي عياض وأبو القاسم ابن القاضي الشهيد المعروف بابن الحاج أو صاحب الصلاة، وكان يفزع إليه في الطب كما يفزع إليه في الفتوى، له عدة تآليف كان منها كتابه المعلم في شرح صحيح مسلم توفي سنة 356. الوفيات ج 4 ص 285 . محمد الشاذلي النيفر : تحقيق (المعلم بفوائد مسلم) للمازري. الدار التونسية للنشر 1988.

وعياض (ت 544)[1] .

وقد كان ابن صاحب الصلاة يشير إلى الأعلام التسعة بحروف ترمز إلى المؤلف أو إلى التأليف[2] ..

لقد تجلّى واضحًا من خلال مصادر ابن صاحب الصلاة أن الرجل ينتمي إلى المذهب المالكي بل وأنه مغرق في نصرة المذهب ، كما تجلي واضحًا من خلال تواريخ مراجعه أنه عاش في فترة معروفة الزمن فهو مثلاً يرجع إلى ابن رشد الجد وليس إلى ابن رشد الحفيد ..

وكل هذا حملني على البحث عن الذين يحملون اسم ابن صاحب الصلاة ضمن إطار " المالكية " وفي أثناء القرن السادس بالذات، وهنا وجدنا أنفسنا أمام عدد ممن يحملون اسم ابن صاحب الصلاة، فمن هو هذا الذي ألف كتاب شرح الأحكام ؟

وقد حاولنا أن نجد من خلال أسماء التآليف التي تحمل عنوان الأحكام في هذه المرحلة وأن نجد من خلال التاريخ ما قد يدلنا على الطريق[3]. كما حاولنا أيضا أن نجد من خلال تراجم " أبناء " صاحب الصلاة تآليفَ لبعضهم حول هذا الموضوع ، فهناك ابن صاحب الصلاة الأديب اللغوي (ت 550) [4]، وهناك ثان (ت 578)[5] ، وهناك صاحبنا مؤلف تاريخ الموحدين سالف

(١) هو القاضي أبو الفضل عياض موسى بن عياض اليحصبي شيخ الإسلام وقدوة العلماء والأعلام، خصصت ترجمته بالتأليف ، ومنها أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، أخذ عن عيون العلماء .. وأجازه الكثير من الرجال .. ألف التآليف العديدة وكان منها (إكمال المعلم في شرح مسلم) الذي يعتمده ابن صاحب الصلاة إلى آخر التأليف العديدة ، توفي بمراكش في جمادى الآخرة سنة 544.

(٢)أشار ابن صاحب الصلاة بحرف الطاء للخطابي، وبالواو للهروي، والهاء للقاضي عبد الوهاب ، والباء لابن بطال، وبالسين لكتاب الاستذكار لابن عبد البر وبالجيم للباجي وبالشين لابن رشد وبالزاي للمازري وبالعين لعياض .

(٣) انظر التكملة لكتاب الصلة – الذيل والتكملة – نفح الطيب – كشف الظنون.

(٤) ابن الأبار : التكملة تحقيق كوديرا مدريد رقم 2045 .

(٥) التكملة رقم 1402.

الذكر [1]، وهناك رابع كثيرا ما استوقفني: هو محمد بن أحمد بن الحسن الذي حدث عنه أبو القاسم سليمان ابن الطيلسان والمتوفى سنة 607 وهو من أهل قرطبة[2]، وهناك خامس توفي سنة 607 له ترجمة حافلة[3].. وسادس شاطبي توفي سنة 625 [4] وهناك عمر أبو جعفر ابن صاحب الصلاة البجانسي [5]، وهناك ابن صاحب الصلاة المكنى أبا بكر[6]، وهناك عمر أبو جعفر ابن صاحب الصلاة [7]، وهناك ابن صاحب الصلاة الوليني الذي وصف جامع قرطبة [8] على أن هناك جماعة منهم لم يعرف تاريخ وفاتهم من أمثال سعيد الكناني [9]. وقد فاوضت بعض الزملاء الأعزاء ممن كنت أعرف عن صلتهم بالموضوع .

وملت في نهاية المطاف إلى الرأي الذي كان يرى أن القصد إلى ابن صاحب الصلاة المالقي المستشهد في وقعة العِقاب يوم الاثنين14 صفر 609 وكان ذلك اعتمادا على إشارة وردت عند بعضهم في ترجمة هذا الشهيد تقول إنه صنف في الحديث[10]...

وقد رجعت إلى المراجع الأندلسية وبخاصة إلى التكملة لابن

(١) التكملة رقم 1726. (٢) التكملة رقم 907.

(٣) التكملة رقم 916. (٤) الذيل والتكملة ج 6 ص67.

(٥) نفح الطيب ، 2، 690.

(٦) 3-469 –

(٧) المصدر السالف نفس الصفحة

(٨) النفح ج١ 552-

(٩)التكملة 1291 ، المن بالإمامة تحقيق د. التازي طبعة ثالثة ، دار الغرب الإسلامي 1987 ص7-8 ابن خلدون (يحيى) : بغية الرواد في ذكر بني عبد الواد، طبع الجزائر 1321=1903 ، ص23-51 ، المعلم بفوائد مسلم تقديم وتحقيق الشيخ الذيفر، طبع تونس 1988 ، ج 1ص 182 .

(١٠) كان من رأي زميلنا الأستاذ محمد المنوني شفاه الله أن القصد إلى ابن صاحب الصلاة المترجم في بغية الرواد، وقد ترجح لدى رأي الزميل الدكتور محمد بنشريفة الذي استمزجت رأيه ، شاكرا لهما مساعدتهما أمواتًا وأحياء ...

الأبار والذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي وما تفرع عن هذين المصدرين ابتداءً من "الديباج" لابن عرضون ، لأعرف المزيد عن ابن صاحب الصلاة مؤلف "شرح الأحكام" قبل أن آخذ في دراسة محتوى المخطوط أو بالحري بعض أبوابه التي كانت تهمني ، وهكذا وجدنا أن ابن الأبار يترجمه على أنه محمد بن حسن بن محمد بن خلف الأنصاري

وأنه من أهل مالقة ويعرف تحت اسمين اثنين : ابن صاحب الصلاة ، وابن الحاج ويكنى أبا عبد الله .

عن الذين سمع عنهم بالأندلس :

وبعد هذا نذكر لائحة لبعض السادة الذين – سمع منهم– بالأندلس وهو خمسة:

أبو عبد الله بن الفخار [1]

أبو محمد عبد الحق بن بونه[2]

أبو خلد بن رفاعة [3]

(١) ترجمه ابن عبد الملك المراكشي ترجمة حافلةً في السفر السادس من كتاب الذيل والتكملة فذكر أنه محمد بن إبراهيم بن خلف بن أحمد الأنصاري مالقي بلنسي الأصل ، أبو عبد الله ، ابن الفخار ... روى عن جماعة منهم أبو بكر ابن العربي الذي أكثر عنه ... أبو مروان ابن بونه، وله إجازات ، وروى عنه عدد كبير منهم أبو سليمان بن حوط الله تلميذ ابن صاحب الصلاة موضوع الحديث وأبو محمد بن حوط الله ... كان من أحفظ أهل زمانه للحديث والفقه واللغات والأدب والتواريخ بارا بطلاب العلم مبالغًا في إكرامهم... وهو الذي سئل : هل كان يستعين على الحفظ بما يذكره الأطباء ؟ فقال : قد كان ذلك ! كان حسن الخلق مع دعابة فيه ... قال ابن اخته الطبيب أبو محمد الفخار : سافرت مع خالي من مالقة إلى مراكش حين استدعى إليها ... فكان لا يفتر عن القراءة ليلاً ونهاراً وقد استجلبه المنصور الموحدي سنة ثمانين إلى مراكش ليسمع بها عليه ، وكان يُجله كثيرًا ويقربه ، واستصحبه حين توجه إلى إفريقية سنة 575 مباهيًا به ... ولد بمالقة سنة 511 وتوفي بمراكش في السابع عشر من شعبان سنة تسعين وخمسمائة،ويقال:إن المنصور صلى عليه داخل جامعه الأعظم بالقصبة في القبة الغربية القبلية منه ... المراكشي ، الذيل والتكملة ، رقم الترجمة 218 – ص 87-88-89-90 ، وانظر الأعلام للعباس بن إبراهيم 1977 المطبعة الملكية الرباط ج 4، 125 .

(٢) عبد الحق بن عبد الملك بن بونه بن سعيد العبدري المالقي أبو محمد ... سكن مدينة المنكب وسمع من أبيه أبي مروان الذي كان يعتني به ويُسمعه صغيرًا ورحل به إلى قرطبة فأورثه ذلك نباهة ، وأخذ عنه جماعة من شيوخ ابن الأبار ... عالي الإسناد صحيح السماع ...روى عنه ابن حوط الله وابن عطية وابن الفرس ... توفي في آخر سنة سبع وثمانين وخمسمائة، التكملة لابن الأبار رقم 1806.

(٣) أبو خلد (وليس أبا خالد) يزيد بن محمد بن يزيد الخمي الغرناطي ابن رفاعة ، وبها يعرف ويعرف أيضا بابن الصفار سمع عددا من الرجال ، منهم أبو محمد بن عطية وأبو بكر بن العربي أبو الفضل عياض ،. وأجازه أبو محمد بن عتاب وأبو بحر الأسدي وعدد كثير، توفي في المحرم سنة خمس وثمانين وخمس مائة ، التكملة ، رقم 2108.

أبو محمد بن عبيد الله [1]
أبو جعفر بن حكم[2]
ويضيف ابن عبد الملك المراكشي في كتابه الذيل والتكملة إلى هذا أن بعض رجال الأندلس أجازوا ابن صاحب الصلاة ومن أولئك الرجال :
أبو بكر ابن الجد [3]
أبو بكر ابن أبي زمنين [4]
أبو عبد الله ابن زرقون [5]
أبو القاسم الشراط [6]

(١) الفصد إلى أبي محمد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عُبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن ذي الفنون الحجري كان يقول : إن أصلهم من جهة طليطلة وأن بينهم وبين ذي النون المتأمرين بطليطلة قرابة .. خرج إلى مالقة ثم جاز البحر إلى مدينة فاس، ومنها انتقل إلى سبتة ثم استدعي إلى حضرة السلطان بمراكش ليسمع عليه هناك .. ثم عاد إلى سبتة حيث أدركه أجله عام 591 وبها دفن، وهو من أشهر علماء وقته وإليه كانت الرحلة للسماع فيه وفد أجاز ابن صاحب الصلاة الذي لقبه أيضا في سبتة على ما نقرأ في الذيل والتكملة 1416.

(٢) أبو جعفر بن حكم محمد بن حكم بن محمد من أهل سرقطسة وجده ذو الوزارتين محمد بن أحمد كان صاحب مدينة سالم ... روى عن جماعة واستقر بمدينة فاس وولى أحكامها، حدث عنه أبو محمد بن بونه، وتوفي بتلمسان في نحو سنة 538، وقد ورد ذكره ضمن عدد من تراجم الرجال ، نذكر من هؤلاء عبد الله ابن الحسن بن أحمد الأنصاري من أهل مالقة، التكملة الترجمة رقم 1433.

(٣) أبو بكر ابن الجد محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجد الفهري الفقيه الحافظ من أهل إشبيلية سمع من الهوزني صحيح مسلم ولقي بقرطبة أبا الوليد بن رشد الذي ناوله كتاب البيان والمقدمات ، وعني في أول أمره بالعربية فبرع فيها ثم مال إلى دارسة الفقه ومطالعة الحديث بتوجيه من أبي الوليد بن رشد ... وقدم للشورى مع أبي بكر بن العربي ... وتمكن من الحظوة عند الملوك وهو من الأعيان الخمسة الذين حضروا موقعة وبذة مع الخليفة يوسف بن عبد المؤمن ونال دنيا عريضة واستفاد ثروة عظيمة ، كان خطيبا مفوها يبلغ بالبديهة ما لا يبلغ بالروية لكنه لم يشتغل بالتأليف على غزارة حفظه، توفي بإشبيلية في 4 شوال 586 – ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ص 94 – التكملة رقم825.

(٤) أبو بكر ابن أبي زمنين محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله ابن أبي زمنين المري غرناطي تفقه بأبي الحسن بن عمر بن أضحى وأبي عبد الله بن مالك وغيرهما وكان من أهل المعرفة والذكاء توفي معتبطا سنة أربعين وخمسمائة، المراكشي: الذيل والتكملة رقم 259 ص 101.

(٥) أبو عبد الله ابن زرقون هو محمد بن سعيد.. الأنصاري من أهل إشبيلية سمع عددا من فطاحل العلم منهم أبو محمد بن عبدون وأبو الفضل بن عياض أبو عبد الله بن الحاج يعني مترجمنا ابن صاحب الصلاة ، وأبو مروان الباجي ولي قضاء شلب وسبتة، كان أحد سروات الرجال ، يعترف له بذلك أبو بكر بن الجد، حسن الشارة لين الجانب ، ومن تواليفه كتاب الأنوار جمع فيه بين المنتقي والاستذكار ... توفي بإشبيلية في منتصف رجب سنة 586 –التكملة رقم 824.

(٦) أبو القاسم الشراط هو عبد الرحمن بن محمد بن غالب الأنصاري من أهل قرطبة سمع الحديث من أبي القاسم بن بقي وأبي الحسن بن مغيث وأبي عبد الله بن الحاج أي مترجمنا ابن صاحب الصلاة ، وأبي بكر ابن العربي وغير هؤلاء وأجاز له ما رواه أبو الحسن بن نافع وغيره وكان عارفًا بالقراءات وطرقها أقرأ بالمسجد الجامع بقرطبة وأسمع الحديث وأخذت عنه جماعة .. توفي بقرطبة 12 جمادى الآخرة سنة 586 ، التكملة لابن الأبار رقم 1620 .

أبو محمد بن جمهور[1]

وإذا ما رجعنا إلى الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي فإننا سنكتشف معلومات إضافية عن مترجمنا ابن صاحب الصلاة، وهكذا استفدنا أن هناك ذكرا لثمانية أسماء أخرى لشيوخ ابن صاحب الصلاة بالأندلس علاوة على الخمسة المذكورين من لدن ابن الأبار وهم :

أبو الحجاج بن الشيخ [2]

أبو الحسن بن كوثر [3]

أبو عبد الله بن عروس [4]

أبو محمد عبد الله بن حوط الله [5]

عبد الصمد بن يعيش [6]

(١) أبو محمد بن جمهور هو عبد الله بن أحمد بن جمهور القيسي من أهل إشبيلية سمع من أعيان العلماء مثل أبي بكر بن العربي وغيره، وأخذ القراءات عن أبي الحكم بن بطال وأجازه أبو طاهر السلفي وغيره وولي الصلاة بجامع عذيش من إشبيلية له بصر باللغة ومعرفة بالشروط واستقلال بعقدها ، حدث عنه جماعة من الشيوخ توفي ببلده في العشر الوسط من ربيع الآخر سنة 592 ، التكملة ، الترجمة رقم 1417.

(2) أبو الحجاج هو يوسف بن محمد بن عبد الله ... البلوي المالقي المعروف بابن الشيخ سمع أبا عبد الله بن الفخار .. وحج سنة ستين فسمع الأحكام الكبرى ببجاية من أبي محمد عبد الحق .. أخذ عنه أبو سليمان بن حوط الله .. بنى ببلده مالقة خمسة وعشرين مسجدا من صميم ماله ... وحفر بيده أزيد من خمسين بئراً ، وغزا عدة غزوات مع المنصور الموحدي بالمغرب ومع صلاح الدين بالشام ، أدركه أجله في رمضان سنة 604 ، التكملة رقم 2089.

(٣) هو علي بن أحمد بن كوثر المحاربي أبو الحسن العرناطي ، سمع من والده أبى العباس وحج معه فسمعا بمكة جامع الترمذي سنة 547 من أبي الفتح الكروخي ... ولقي بمصر أبا العباس أحمد بن الحطية، قرأ عليه سنة 553 ... وتصدر بغرناطة للإقراء وللإسماع .. روى عنه ابن حوط الله ، وقد ورد ذكره في بعض التراجم، انظر رقم 1433 ... أدركه أجله في ربيع الآخر سنة 589،التكملة رقم 1875.

(٤) ابن عروس محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد... السلمي من أهل غرناطة يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن عروس ، سمع أيضا من أبي بكر بن العربي وروى عن أبي مروان بن بونه.. وتصدر للإقراء ببلده وإسماع الحديث وولى الصلاة والخطبة بجامعه، أخذ الناس عنه كثيرًا ، أدركه أجله يوم 15 رجب سنة 590، التكملة رقم 835.

(٥) أبو محمد عبد الله بن حوط الله الأنصاري الحارثي من أهل أنده (عمل بلنسية) سمع أباه .. ثم جال بلاد الأندلس وبها يومئذ بقية من الرواة وجلة من المحدثين يأخذ ويروي ، وممن لقيهم بقرطبة أبو القاسم ابن بشكوال وأبو الوليد بن رشد وأبو عبيد البكري... وبإشبيلية أبو بكر بن الجد .. وبغرناطة أبو خلدين رفاعة وأبو الحسن بن كوثر وأبو جعفر بن حكم، وبمالقة أبو عبد الله بن الفخار وأبو الحجاج بن الشيخ .. وبسبتة أبو محمد بن عبيد الله.. وقد كاتبه من أعيان المشرق أبو الفضل بن الحضرمي وأبو محمد بن عساكر كان .. لامعًا في صناعة الحديث حسن الحظ له كتاب حول شيوخ البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي وهو ممن امتحنوا بالتجول فضاعت كتبه وذهبت أصوله، لم يكن في زمانه أكثر مسموعًا منه ومن أخيه أبي سليمان .. استأدبه المنصور الموحدي لبنيه وحظي لديه ونال من الموحدين وجاهة متصلة ودنيا عريضة .. وولي قضاء قرطبة وإشبيلية ومرسيه والعدوة، أدركه أجله بغرناطة وهو يقصد مرسيه بتاريخ 12 ربيع الأول سنة 612 ثم نقل إلى مالقة ، دفن على مقربة من مسجد الغبار ... التكملة رقم 1435.

(٦)عبد الصمد بن محمد بن يعيش الغساني من أهل المنكب وخطيبها روي عن عياض وابن العربي وتصدر للإقراء وأخذ الناس عنه:أبو القاسم الملاحي وأبو محمد حوط الله .. وقد حدث عام 592، التكملة رقم 1800.

عبد المنعم بن الفرس [١]
أبو عبد الله الاستجي[٢]
أبو جعفر الحصار [٣]

عن اللذين سمع منهما في بجاية:

ويؤخذ من ابن الأبار وابن عبد الملك أن ابن صاحب الصلاة هذا ابتدأ رحلة للمشرق عام 580 بقصد أداء فريضة الحج... حيث لقي في طريقه بالمغرب الأوسط، في بجاية أبا محمد عبد الحق ابن عبد الرحمن الإشبيلي الذي كان نزيل المدينة[٤] فسمع منه على نحو ما سمع هناك من أبي عبد الله بن الحرار[٥]

(١) عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي الغرناطي أبو محمد ابن الفرس سمع جده وأباه .. كان له تحقق بالعلوم على تفاريقها وتقدم في حفظ الفقه مع المشاركة في علم الحديث .. لم يكن في الأندلس أحفظ لمذهب مالك من عبد المنعم ابن الفرس، وقد ألف كتابا فى أحكام القرآن .. واضطرب قبل موته من علة خدر طاولته، وتوفي في الرابع من جمادى الآخرة 597 وشيعه خلق كثير وكسر الناس نعشه وتقسموه .. التكملة، الترجمة 1814 – الأعلام لعباس بن إبراهيم ج 8 ص 382.

(٢) الاستجي هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز الحميري ، من أهل قرطبة وسكن في مالقة، يكني أبا عبد الله ويعرف بالاستجي روي عن شريح، سمع عنه صحيح البخاري، وأخذ عن ابن العربي ... وأبي مروان ابن بونه وأبي بكر بن عياش بن فرج، وأقرأ بمالقة وولي الخطبة بجامعها وحدث وأخذ عنه وكان من أهل الفضل والصلاح ، حدث عنه أبو سليمان بن حوط الله، توفي بمالقة سنة 577 ، التكملة رقم الترجمة786.

(٣) لعل لابن جعفر هذا صلة بأبي جعفر عبد الرحمن بن أحمد الأزدي من أهل غرناطة المعروف بابن القصير، روي عن ابنه أبي الحسن وعن أبي الوليد بن رشد وأبي بكر بن العربي، كان بصيرا بصناعة الحديث وامتحن بالتجول في البلاد ، وحدث بتونس عام 574 ثم ركب البحر للحج، فاستشهد بمرسى تونس أواخر عام 576، التكملة رقم 1607.

(٤) هو أبو محمد عبد الحق الأزدي الإشبيلي يعرف بابن الخراط نزيل بجاية .. روي عن أبي الحكم بن برجان دفين رحبة الزرع بمدينة مراكش حيث جدد ضريحه من لدن الملك الحسن الثاني .. كتب إليه محدث الشام أبو القاسم بن عساكر وغيره وأخذ عنه عدد من جلة العلماء وصنف التصانيف الجليلة كان منها الأحكام الكبرى والأحكام الصغرى في الحديث ولعل ابن صاحب الصلاة موضوع حديثنا تأثر به في تأليفه شرح الأحكام ، توفي ببجاية سنة 581 .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد السبتي الأنصاري : مالقي أبو بكر بن الحرار أجاز له بعض المشارقة المذكورين في رسم أبي الطاهر أحمد بن علي السبتي الهواري كان ممن روى عنه أبو سليمان بن حوط الله ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة ، السفر السادس تحقيق د. إحسان عباس ص 6 الترجمة رقم 2 بيروت 1973.

عن الذين سمع منهم في الإسكندرية:

وقد سمع بالإسكندرية أربعة أعلام هم:

أبو عبد الله بن الحضرمي [1]

أبو الفضل بن دليل الكندي [2]

أبو عبد الله الكركنتي [3]

أبو الثناء الحراني [4]

ويضيف ابن عبد الملك المراكشي اسم نزيل الإسكندرية أبي إسحاق بن عبد الله البلنسي والذي لم نجد له ذكرا في أعلام الإسكندرية ولا في رجال بلنسية !

عن الذين لقيهم بمكة :

وقد لقي ابن صاحب الصلاة بمكة عام 583عدداً من العلماء الذين كانوا يجاورون هناك أمثال :

أبي إبراهيم الخجندي [5]

أبي عبد الله بن أبي الصيف اليمني [6]

أبي إبراهيم التونسي [7]

---

(١) ابن الحضرمي أبو عبد الله ، من المشارقة الذين أجازوا أبا القاسم الملاحي على ما نقرؤه في التكملة الترجمة رقم 960 كما كان من الذين كاتبوا أبا سليمان داود بن حوط الله على ما نجده في التكملة أيضا الترجمة رقم 205.

(٢) أبو الفضل بن دليل الكندي يسميه ابن عبد الملك المراكشي بعبد المجيد، ولعل له صلة بأبي اليمن الكندي الذي راسل العلامة الأندلسي أبا سليمان بن حوط الله على ما نقرؤه في التكملة الترجمة رقم 205 وانظر الترجمة 1433.

(٣) يكنيه ابن عبد الملك بأبي عبد الله على نحو ما نجده في الترجمة رقم 1433 .

(٤) أبو الثناء حماد بن هبة الله بن حماد بن فضيل الحراني مؤرخ من حفاظ الحديث الشريف من أهل حران (في الجزيرة الفراتية) كان تاجرا كثير الأسفار هو صاحب (تاريخ حران) وكان ممن كاتبوا أبا سليمان داود بن سليمان بن حوط الله على ما نجده في تكملة ابن الأبار الترجمة رقم 205 ، الزركلي : الأعلام 303,2.

(٥)الخجندي يذكره ابن عبد الملك باسم عبيد الله بن عبد اللطيف الخجندي، ويذكر ابن الأبار أن ابن صاحب الصلاة سمع من الخجندي الأربعين حديثا، ويظهر لي أنه أي ابن الأبار التبس عليه الخجندي باليمني آتي الذكر مباشرة.

(٦) ابن أبي الصيف (بالصاد وليس بالضاد) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن علي أبو عبد الله ابن أبي الصيف فقيه شافعي أصله من زبيد أقام وتوفي بمكة ، له كتب منها " الأربعون حديثا " جمعها عن أربعين شيخًا من أربعين مدينة،وهو من العلماء المشارقة الذين أجازوا أبا القاسم الملاحي على ما نقرؤه في التكملة الترجمة 960 كما كان من المراسلين لأبي سليمان بن حوط الله على ما نجده في التكملة ، الترجمة رقم 205 الزركلي : الأعلام : 211,6.

(٧) التونسي أبو حفص ، لم نتمكن من الوقوف على ترجمته .

أبي حفص الميانشي [1]

ونحن بالمشرق مع ابن صاحب الصلاة، نضيف معلومة قدمها إلينا ابن عبد الملك في الذيل والتكملة ، ويتعلق الأمر بالإجازات التي نالها ابن صاحب الصلاة من بعض أعيان علماء المشرق نذكر منهم :

الحسن بن هبة الله بن محفوظ الربعي[2]

أبا الحرم مكي [3]

أبا الظاهر بن عوف [4]

أبا الطاهر الخُشوعي [5]

أبا القاسم بن عساكر [6]

(١) ذكر ابن عبد الملك المراكشي الاسم كاملاً للميانشي هكذا : أبو علي الحسن بن حفص عمر ابن عبد المجيد الميانجي وهو من العلماء المشارقة الذين أجازوا أبا القاسم الملاحي على ما نقرؤه في التكملة ، الترجمة رقم 960.

(٢) الربعي أبو المواهب الحسن بن هبة الله ابن محفوظ بن صصري الربعي التغلبي الدمشقي ، من حفاظ الحديث، كان محدث دمشق، له رباعيات التابعين وفضائل بيت المقدس وفضائل الصحابة وعوالي إلى ابن عيينة وغير ذلك ، الزركلي : الأعلام 2, 141.

(٣) أبو الحرم مكي : نعتقد أنه مكي بن ريان بن شبة ، شاعر ضرير عالم بالقراءات ولد بما كسين من أعمال الجزيرة الفراتية على نهر الخابور ذهب بصره وهو صغير السن ورحل إلى بغداد والشام واستقر وتوفي بالموصل بعد أن قام بزيارة بيت المقدس ، وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق د. إحسان عباس ص 279 .

(٤) حول أبي الطاهر وقفنا في التكملة ، مرات عديدة على تراجم تحمل إجازة أبي الطاهر لبعض الشخصيات الأندلسية مثل ابن حوط الله والملاحي ، انظر الترجمة رقم 205 ورقم 960 ، وانظر مع هذا الذيل والتكملة ، السفر 5 قسم 2ص 685 .– رقم 1294.

(٥) الخشوعي وردت الإشارة للخشوعي في بعض تراجم علماء الأندلس أذكر منهم على الخصوص أبا محمد عبد الله المالقي الترجمة رقم 1433 هذا ويتأكد لدي أن هناك صلة لأبي الطاهر الخشوعي هذا بأبي طاهر بن بركات بن إبراهيم من رجال الحديث الذي روي عنه في سبب تسميتهم بالخشوعي أن جدهم كان يؤم بالناس فتوفي بالمحراب فسمي بالخشوعي . الأعلام : الزركلي 3, 218 .

(٦) ابن عساكر علي بن الحسين بن عبد الله أبو القاسم الحافظ الملقب بثقة الدين من أعيان الفقهاء الشافعيين وغلب عليه الحديث فاشتهر به له" تاريخ دمشق " في ثمانين مجلدًا ، وإن العمر يقصر عن أن يجمع فيه الإنسان مثل ذلك الكتاب ! وله كتب أخرى منها الإشراف على معرفة الأطراف في الحديث ، وتبين كذب المفتري فيما نسب لأبي الحسن الأشعري وكشف المغطى في فضل الموطأ ، وله معجم النسوان ، توفي سنة 571 . وفيات الأعيان لابن خلكان ج 309,3.

إلى جانب آخرين مذكورين في رسم أبي الطاهر أحمد بن علي السبتي[1] باستدعاء أبي عبد الله بن إبراهيم بن حريرة [2] .

وإذ عرفنا عمن لقيهم ابن صاحب الصلاة بمكة فإنه من المفيد أن نذكر أن ابن عبد الملك المراكشي أضاف اسم أبي إبراهيم التونسي واسم أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الغساني اللذين لم نعرف عنهما ما نقول إضافة إلى هذا نذكر أن ابن صاحب الصلاة لقي بمكة أبا عبد الله محمد ابن مفلح

الذي أجازه لفظا وخطا والذي لم أقف له على ترجمة كذلك .

ابن صاحب الصلاة بفاس:

لكن الذي انفرد بذكره ابن عبد الملك في الذيل والتكملة هو أن يفيدنا أن ابن صاحب الصلاة موضوع الحديث قضي ردحًا من الزمان في العدوة المغربية وبالذات في مدينة فاس حيث أخذ عن عالمين كبيرين أجازا له وهما:

أبو الحسن بن فرحون [3]

وأبو عبد الله بن عبد الكريم [4]

(١) وردت الإشارة لهذا الرسم في جهات أخرى وأذكر على سبيل المثال ترجمة أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الملك الأنصاري ابن الحرار الذي أجازه المشرقيون المذكورون في رسم أبي الطاهر أحمد بن علي... الذيل والتكملة لابن عبد الملك السفر السادس الترجمة 2 ص6 .

(٢) ابن حريرة هو محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن غالب بن يعلي من أهل مالقة ويعرف بابن حريرة ، وهو من غمارة أصلا روى بالأندلس عن ابن الفخار وأبي محمد بن عبيد الله وأبي محمد بن الفرس وأبي بكر بن زمنين ... ورحل حاجا فسمع بالإسكندرية من عدد كبير من الأعلام ، ولقي بمكة أبا عبد الله ابن أبي الصيف اليمني وابن علوان التكريتي واللائحة طويلة جدا وفيها الحرة تاج النساء بنت رستم بنت أبي الرجاء، من أتم الناس عناية بطريقة الحديث ، وقفل لبلده وورد على مراكش فقام بها يسيرا لعقد الوثائق وألف كتاب الأربعين في فضل المعونة والمعين، توفي في سنة 637 التكملة الترجمة 1007 – الذيل والتكملة رقم 234 ص 93. .

(٣) القصد ابن أبي الحسن علي بن محمد بن فرحون القيسي القرطبي ، الذي يذكر ابن الأبار أنه حج وسمع من السلفي وجماعة ونزل مدينة فاس وكان عالمًا بالفرائض والحساب ، ثم حج وجاور إلى أن توفي سنة 591 ، التكملة رقم 1880.

(٤) القصد إلى محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي من أهل مدينة فاس يكني أبا عبد الله ، كان إمامًا في علم الكلام وأصول الفقه مدرسا بذلك حياته كلها، له رجز في أصول الفقه، روي عنه جماعة منهم أبو الحسن الشاري الذي بني مدرسة سبتة وقد نسب له الجزناني كتاب المستفاد في ذكر الصالحين من فاس والعباد ، توفي في ذي الحجة 596 التكملة رقم 1062 ورقم 1922 ، د التازي : تاريخ جامع القرويين ج1 ص 176 طبعة بيروت 1972.

وهذه معلومة تستحق الوقوف عندها لكي نعرف عن المركز العلمي الذي كان للمدينة حتى على عهد الموحدين الذين حوّلوا عاصمتهم السياسية إلى مدينة مراكش .

وفي سبتة التقى مرة أخرى بأبي محمد ابن عبيد الله سالف الذكر الذي أجازه .

عن بعض الذين رووا عنه:

وقد أخذ عنه عدد كبير من الجلة ذكر بعضهم ابن الأبار وأتى ابن عبد الملك ببعضٍ آخر منهم ، ونسوقهم هنا مترجمين واحدًا واحدًا لنعرف قيمة الرصيد العلمي الذي خلفه هذا الرجل العظيم ، ونُنبِّه منذ البداية إلى أن أكثر الذين أخذوا عنه كانوا نظراء له ، وكان منهم أيضًا من هم أكبر منه سنا ! ففيهم:

أبو القاسم الملاحي [1]

أبو سليمان بن حوط الله [2]

---

(١) أبو القاسم الملاحي (نسبه إلى الملاحة قرية على بعد بريد من غرناطة) محمد بن عبد الواحد بن مروان الغافقي الداخل إلى الأندلس ... سمع من أبيه وخاله أبي إسحاق وأبي الحسن بن كوثر وأبي عبد الله ابن عروس وأبي خلد بن رفاعة وأبي محمد بن الفرس وأبي جعفر بن حكم وأبي عبد الله بن بونه وأخيه أبي محمد عبد الحق وأبي بكر بن أبي زمنين .. من جملة من أجازه أبو بكر بن الجد الذي كان من الخمسة الذين حضروا مع يوسف بن عبد المؤمن موقعة وبذة على ما أسلفناه، كما أجازه أبو محمد بن عبيد الله ... وقد أجازه عدد كبير من العلماء المشارقة، أما عن شيوخه فقد يزيدون على مئة وخمسين منهم ابن صاحب الصلاة موضوع الحديث، ومنهم من شيوخ ابن الأبار جماعة ، كان مقدما في صناعة الحديث شديد العناية بالرواية ... وقد ألف تاريخًا في علماء البيرة وأنسابهم وأدبائهم .. ومن كتبه أنساب الأمم العرب والعجم سماه (الشجرة) وكتاب الأربعين حديثًا بلغ فيه الغاية .. توفي سنة 619 وقد أسهب ابن عبد الملك في ترجمته، التكملة رقم 960 – الذيل والتكملة السفر السادس ص 413-414-415-416-417-418.

(٢) أبو سليمان داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن .. بن حوط الله الأنصاري الحارثي من أهل أندة من (عمل بلنسية) وسكن مالقة أخذ عن أبيه وأخيه أبي محمد عبد الله وتجول-بلاد الأندلس للسماع من علمائها .. ولقي بقرطبة أبا القاسم بن بشكوال وأكثر عنه ولازمه نحوا من عامين.. وسمع بها ابا عبيد البكري .. وبمالقة أبا عبد الله الفخار .. وبالمنكب سمع أبا محمد عبد الحق بن بونه، وبغرناطة أبا عبد الله ابن عروس وأبا الحسن بن كوثر وأبا بكر بن زمنين وأبا جعفر بن حكم ولقي بسبتة أبا محمد ابن عبيد الله .. وممن كاتبوه من المشرق أبو عبيد الله بن الحضرمي وأبو الثناء الحراني وأبو اليمن الكندي وابن أبي الصيف، وقد ألف في أسماء شيوخه كتابا قرأه عليه ابن الأبار وهم يزيدون على مائتي رجل وكان فيهم دون شك ابن صاحب الصلاة موضوع حديثنا .. وهو وأخوه أبو محمد بن حوط الله كان أوسع أهل الأندلس رواية في وقته .. وقد ولي قضاء الجزيرة الخضراء ثم قضاء مالقة وبها توفي على قضائها سادس ربيع الآخر سنة 631 ،التكملة ، الترجمة رقم 205 .

أبو إسحاق القصير المالقي [1]
أبو بكر بن عبد النور [2]
أبو جعفر ابن عثمان الورّاد [3]
أبو الحسن بن عبد الله الهواري [4]
أبو الحسن محمد بن أبي زكرياء بن مجاهد [5]
أبو الطاهر أحمد بن علي بن عبد الله الهواري [6]
أبو عبد الله بن أبي جعفر بن الجيار [7]

(١) أبو إسحاق القصير المالقي لم أجد له صدى فيما أتوفر عليه من مصادر ومراجع ولعل له صلة بعبد الرحمن بن القصير الذي ورد اسمه ضمن ترجمة أبي القاسم الملاحي في الذيل والتكملة ج سادس ص 43.

(٢)أبو بكر بن عبد النور : له ترجمة حافلة سواء في التكملة أو في الذيل والتكملة ، هو محمد بن عبد النور ابن أحمد من أهل إشبيلية يكنى أبا عبد الله أيضا تصدر الصلاة، وابن زرقون وأبو القاسم بن بشكوال ، وعبد المنعم بن الفرس .. أجازه من أهل المشرق باستدعاء أبي العباس النباتي منهم الحسين بن باز، وعمر التكريتي ومحمود ابن أبي العز الكازروني ويحيى بن سعد التكريتي في عدد كبير جرى ذكرهم مستوفي في رسم أبي العباس النباتي .روى عنه أبو عبد الله بن سعيد الطراز الذي هو أيضا من تلاميذه ابن صاحب الصلاة على ما سنرى ، كان واسع الرواية في الحديث والبصر به عني بالرحلة إلى المشايخ ، عاكفا على العلم طول عمره إلى أن استشهد في كائنة قصر أبي دانس آخر أحد شهري ربيع من عام 614 ، وكان كثيرا ما يحضر الغزوات ، التكملة رقم 933 –الذيل والتكملة – السفر السادس رقم 1112.

(٣) أبو جعفر ابن عثمان الوراد من الذين أخذوا أيضا من الشاعر أبي عبد الله المعروف بمرج الكحل : المقري : نفح الطيب 51,5 تحقيق إحسان عباس ، بيروت .

(٤) أبو الحسن هو علي بن عبد الله الهواري .. روى ابن عبد الملك أنه روى عن الحاج أبي عبد الله بن صاحب الصلاة بمالقة ، وأنه كان محدثا نبيلا كاتبا محسنا .. الذيل والتكملة السفر الخامس، القسم الأول .

(٥) أبو الحسن محمد بن أبي زكرياء بن مجاهد، نتساءل عما إذا كانت له صلة بعلي بن محمد بن مجاهد الذي روى عن القاضي أبي بكر بن العربي، الذيل والتكملة سفر خامس قسم أول ص 392 رقم 660.

(٦) أبو الطاهر أحمد بن علي بن عبد الله الهواري، هذا السيد هو ابن لأبي الحسن علي بن عبد الله الهواري ، وقد ورد ذكره في ترجمة ابن الجيار آتي الذكر الذي أجاز له بعض المشارقة حسب رسم أبي الطاهر أحمد ابن علي السبتي .. الذيل والتكملة السفر الخامس القسم الثاني ص 785، رقم الترجمة 1294 .

(٧) أبو عبد الله ابن أبي جعفر ابن الجيار هو محمد بن أحمد بن عبد المجيد بن سالم بن تمام.. الحجري : مالقي وهو ولد الفاضل أبي جعفر، روى عن أبيه وعن أبي جعفر الحصار وأبي الحجاج بن الشيخ وأبي محمد الخشني وأبي سليمان بن حوط الله سالف الذكر ... وقد أجازه المشرقيون في رسم أبي الطاهر أحمد بن علي السبتي باستدعاء أبي عبد الله بن إبراهيم بن حريرة، كان بارع الخط متقن التقييد، انقطع إلى خدمة العلم إلى أن توفي دون الثلاثين من عمره وثكله أبوه، الذيل والتكملة سفر6 قسم 2 وانظر صفحة 309 رقم 609 س 5 ق 1 الذيل التكملة صفحة 685 رقم 1294 .

أبو عبد الله بن محمد بن سعيد الطراز[1]

أبو عمرو بن سالم [2]

أبو القاسم عبد الرحمن بن سالم [3]

أبو القاسم محمد بن الزيتوني [4]

إلى آخرين أشرنا إليهم أثناء ترجمتنا لبعضهم ...

* * *

تلك حصيلة لحياة ابن صاحب الصلاة الذي عرف أيضا تحت اسم ابن الحاج كما حمل ألقابا ونعوتًا تعبر عن مكانته العلمية الكبرى التي تجلت - في صدر ما تجلت فيه - في هذه الموسوعة التراثية الكبرى : شرح الأحكام ، ونحن على يقين من أنه لو لم يتعرض لما تعرض له في الوقعة المشؤومة لكان ترك لنا تراثًا أغنى وأوفر من حيث تأليفه، ومن حيث طلبته الذين أصبحوا منارة العدوتين: الأندلس والمغرب .

---

(١)هو محمد بن سعيد بن علي بن يوسف الأنصاري من أهل غرناطة يكنى أبا عبد الله ويعرف بالطراز سمع عدداً كبيرًا من الناس علاوة على ابن صاحب الصلاة من هؤلاء أبو القاسم الملاحي الذي أخذ هو الآخر عن ابن صاحب الصلاة الأمر الذي يؤكد ما قلناه في البداية من أن أكثر الآخذين عن ابن صاحب الصلاة نظراؤه أو أسن منه .. .. وقد أجازه عدد من الرجال .. منهم أبو جعفر الحصار وأبو محمد بن حوط الله وأخوه أبو سليمان .. وقد تلقى مكاتبات من المشرق مثلا من أبي اليمن الكندي وله فهرسة مشتملة على أسماء شيوخه وما روي عنهم وقعت إلى ابن الأبار وهو بتونس في أعقاب مهمته المعروفة، وقد أدركه أجله في شوال 645 . التكملة الترجمة 1032 – الذيل والتكملة ج 6 ص 210 – 413.

(٢)أبو عمرو بن سالم هو عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن صالح الهمداني، ما لقي ، يكنى أبا عمرو بن سالم، روى علاوة على ابن صاحب الصلاة عن عمه أبي الربيع بن سالم وأبي سليمان بن حوط الله وأبي عبد الله بن طاهر، وأجاز له من الإسكندرية أبو القاسم عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمر بن العباس الخطيب. الذيل والتكملة – نفح الطيب 3 ، 403.

(٣)أبو القاسم عبد الرحمن بن سالم: لم أعثر في المصادر التي أتوفر عليها، على ترجمة لهذا التلميذ الذي أخذ عن ابن صاحب الصلاة .. وقد كان أقرب إلى أبي القاسم عبد الرحمن بن تمام الأنصاري . من أهل مالقة، المتوفى سنة 581 ، التكملة رقم 1614.

(٤) هو محمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري من أهل غرناطة ، يعرف بالزيتوني ويكنى أبا عبد الله، أقرأ القرآن ببلده وأخذ عنه، توفي بعد أبي جعفر بن حكم سنة 898 ، التكملة رقم 867.

والواقع أن معركة العِقاب لم تكن شؤمًا فقط على الحضور الإسلامي بالجزيرة ولكنها كانت شؤمًا على الفكر والعلم والمعرفة في كل جهات العالم الإسلامي .

فلقد حصدت عدداً من الرجال الذين كانوا معالم تهتدى بهم الساحة الأندلسية، عرفنا منهم إلى جانب ابن صاحب الصلاة أسماء أخرى أمثال ابن عاث الشاطبي الذي افتقد في ساحة المعركة! وأمثال أبي الصبر أيوب السبتي وغير هؤلاء .

وقد عكست الوقعة بظلها الكئيب على إنتاجات أولئك الشهداء فأهمل بعضها وضاع البعض الآخر ، ولا أدل على هذا من أن يختفي كتاب (شرح الأحكام) من سائر المراجع التي تحدثت وباختصار شديد عن علامتنا المحدث ابن صاحب الصلاة.. ! ومن حسن الحظ أن "يفلت" بعض ذلك الكتاب حتى نجد نصوصًا منقولةً عن علماء جلة ضاعت منها تلك النصوص أو بعضها أو حرقت لكنها بقيت في شرح ابن صاحب الصلاة ناطقةً بما قاله أولئك العلماء الأعلام !

وبعد أن تعرفنا على هذه المعلمة الكبرى سواء من خلال شيوخه وتلامذته، سواء في الأندلس أو عندما تجشم مصاعب الرحلات التي قادته - بعد التنقلات بين القواعد الأندلسية - إلى المغرب الكبير حيث زار مدينة بجاية التي كانت قاعدة من القواعد العلمية ليصل إلى الإسكندرية ... ومنها إلى الأماكن المقدسة فيجتمع بطائفة أخرى من العلماء في مكة .. قبل أن يعود إلى وطنه فيقصد العاصمة العلمية فاس التي كانت تزخر بالرجال الذين أخذوا بأطراف العلم فيجتمع فيها بمن عرفنا عنهم ويعود إلى الأندلس بحصيلة معرفية زاخرة، أمسى ابن صاحب الصلاة بعدها كعبة للقصاد الذين تهافتوا عليه بعد أن سمعوا بعودته ..

ومن خلال رصيد حياة هذا الرجل الجليل القدر على جوانب

أخرى من واقع العالم الإسلامي على العموم ومن الواقع الذي كان يعيشه الغرب الإسلامي في قمة عهد الدولة الموحدية في القرن السادس الهجري..

وهكذا فعلى الصعيد الدولي وقفنا على محطات جد مهمة في تاريخ العلاقات بين المملكة المغربية والأندلس ، وعلى محطات مهمة في تاريخ العلاقات بين المملكة المغربية وبين النورمانديين في صقلية الذين كانوا يحاولون الاستيلاء على سواحل المغرب الأدنى حيث شاهدنا حضور المغرب في الواجهتين معا!!

وإلى جانب هذا شاهدنا موقف المغرب الكبير في واجهة ثالثةٍ في المشرق: العلاقات بين قادته وبين قادة المشرق حيث قرأنا عن حضور المغرب إلى جانب السلطان صلاح الدين الأيوبي في مقاومته لاجتياح الفرنج لبعض المواقع في الجناح الشرقي للإسلام عندما شاهدنا أن المجاهدين المغاربة يقصدون إلى تلك الواجهة من غير أن تمنعهم مقاومتهم لمحاولة هيمنة الفرنج في الغرب الإسلامي !!

وقد قرأنا عن أبي الحسن علي المالقي الذي قصد بلاد الشام للجهاد والذي عندما فتح السلطان صلاح الدين بيت المقدس أصبح هو المرشح المؤهل للإمامة بالمسلمين في بيت المقدس، ثالث الحرمين وأولي القبلتين، ومن الطريف أن نسمع أن هذا الرجل لما توفي سار النصارى في جنازته ونشروا ثيابهم على نعشه للتبرك به !!

ومن خلال تراجم بعض الذين كانت لهم صلة بابن صاحب الصلاة سواء في المغرب أو المشرق عرفنا عن التجاوب الذي كان بين الأوساط العلمية سواء أكانت مقيمة في المدن الأندلسية الكبرى، أم القواعد المغربية أم في بلاد الإسكندرية أم في المدن الحجازية أم الجزيرة الفراتية ، حيث قرأنا عن الأواصر المتينة التي كانت تجمع بين المشايخ هنا وزملائهم هناك،حيث قرأنا عن اللوائح الطويلة العريضة لطائفة من الأساتذة بالمشرق

الذين كانوا يراسلون زملاءهم في المغرب ولا يتأخرون عن الإغداق عليهم أي على المغاربة بإجازاتهم التي تعترف لهم بطول الباع في ميادين تخصصاتهم، ومن هنا لم يكن غريبا علينا أن نجد أن الجسور التي كانت تربط بين جناحي العالم الإسلامي كانت من المتانة والقوة بحيث إنها أسهمت وبصفةٍ قوية في ازدهار الحركة الفكرية بالعالم الإسلامي ومن غير فرق بين الذين ينتسبون إلي هذا المذهب أو ذاك ، أو الذين يتبعون لهذا الحاكم أو ذاك ، الأمر الذي يعطينا صورةً متكاملة وصادقةً - من خلال كل ذلك الرصيد - عن عالم إسلامي يشعر شعوراً واحدًا ويتطلع إلى هدف واحد هو أداء الرسالة التي تلقاها المسلمون من سلفهم والتي يبذلون جهدهم لتلقينها للجيل الصاعد الذي يحمل الرسالة للذين يأتون من بعده .

كثيرة هي الجوانب التي تشدنا إلى الاهتمام بابن صاحب الصلاة: هذا النموذج الذي كم له من نظيرٍ في مغرب الأمس، نموذج العالم المتمكن الواسع الاطلاع الذي لم يمنعه علمه الغزير أن يتتلمذ على نظرائه وأقرانه ولم تمنعه مصاعب الرحلة ولا تجشم الأسفار من أن يبحث عمن يزيد في علمه ويقوي من سنده، وهكذا أصبحت ترجمة الرجل أيضًا مرجعًا لمن يريد أن يؤرخ للحياة العلمية بالديار المشرقية أثناء القرن السادس الهجري..

ومن هنا يصح القول إن الاهتمام بشرح كتاب الأحكام لابن صاحب الصلاة المحدث، هو في واقع الأمر اهتمام بالحديث وبالفقه ، وباللغة العربية التي - كما نعلم- تظل الطريق الوحيد لمن يريد أن يعرف عن كتاب الله وسنة رسول الله.

وإذا ثنّى الله ليَ الوساد فسأعمل على نشر بعض الفصول منه لكن ما لا يدرك كله لا يترك جُلّه كما تقول الحكمة العربية ، ولهذا فإني سأبدأ اليوم بتقديم الباب المتعلق بالطب كما عرفه سلفنا الصالح ، وبخاصة في

العهد النبوي على ما دونه الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما ومن أتي بعدهما من عيون رجال الحديث والأثر ...

فماذا عن المخطوطة موضوع الحديث؟

يتناول السفر العاشر من شرح الأحكام اثني عشر بابا على هذا الترتيب :

١- باب الحد في الخمر.
٢- باب في الأطعمة .
٣- باب في الأشربة .
٤- باب في اللباس والزينة .
٥- باب في الأسماء والكنى .
٦- باب في السلام والاستئذان.
٧- باب في العطاس والتثاؤب.
٨- باب في الأمراض وما يصيب المسلم.
٩- باب في الطب.
١٠- باب في قتل الحيات والوزغ.
١١- باب في السعادة والشقاوة والمقادير.
١٢- باب في الرؤيا .

وقد حصل بتر في أواخر باب الطب الذي وقع اختياري عليه كنموذج أقدمه للمهتمين بعمل ابن صاحب الصلاة المحدث ، وبالخصوص للمهتمين بالطب النبوي، وكنت أتمنى أن يكون هذا الباب كاملاً حتى يكون موضوعي مستوفيًا للغرض لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله كما يقولون .

وأحب أن أثير الانتباه منذ البداية، إلى أن اهتمام ابن صاحب الصلاة بموضوع الحديث يندرج حسب اعتقادي ، في دعوة الدولة الموحدية بالمغرب إلى توجيه الرأي العام إلى العناية بكتب الأصول وليس إلى كتب الفروع المتشعبة التي أحرقت على ما هو معلوم، ذلك هو المبدأ الذي رأينا أن الحكم يقوم عليه ، وحسبنا هنا أن نرجع إلى ما رواه المراكشي في كتابه المعجب عن أمر الخليفة المنصور الموحدي أبي يوسف يعقوب بن أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن، أمره بالاقتصار على الأصول والابتعاد عن كتب الفروع ، أي الاقتصار على الصحيحين : البخاري

ومسلم، والموطأ والترمذي وسنن أبي داود وسنن النسائي وسنن البزار ومسند ابن أبي شيبة وسنن الدارقطني وسنن البيهقي..

كان قصد المنصور- كما يقول المراكشي- حمل الناس على الظاهر، وكان هذا قصد والده يوسف وجده عبد المؤمن ولكنهما لم يظهراه وأظهره هو..

ويشهد لهذا عند المراكشي ما أخبره به غير واحد ممن لقي الحافظ أبا بكر ابن الجد أنه أي أبا بكر ابن الجد أخبرهم قال:

لما دخلت على أمير المؤمنين أبي يعقوب أول دخلة دخلتها عليه، وجدت بين يديه كتاب ابن يونس ، فقال لي : يا أبا بكر ، انظر في هذه الآراء المتشعبة التي أحدثت في دين الله !! أرأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال أو خمسة أقوال أو أكثر من هذا، فأي هذه الأقوال هو الحق ؟! وأيها يجب أن يأخذ به المقلد ؟! فافتتحت أبين له ما أشكل عليه من ذلك، فقال لي، وقطع كلامي: " يا أبا بكر،ليس إلا هذا وأشار إلى المصحف أو هذا ، وأشار إلى سنن أبي داود وكان عن يمينه أو السيف !

فظهر في أيام يعقوب ما أخفي في أيام أبيه وجده ، ونال عنده طلبة العلم أي علم الحديث ما لم ينالوا في أيام أبيه وجده وانتهى أمره معهم إلى أن قال يوما بحضرة كافة الموحدين يسمعهم ، وقد بلغه حسدهم للطلبة على موضعهم منه وتقريبه إياهم وخلوته بهم دونهم: يا معشر الموحدين أنتم قبائل، فمن نابه أمر فزع إلى قبيلته وهؤلاء يعني الطلبة ، لا قبيل لهم إلا أنا ، فمهما نابهم أمر فأنا ملجؤهم وإلى فزعهم وإليّ ينسبون"

فعظم منذ ذلك اليوم أمرهم وبالغ الموحدون في برهم وإكرامهم [1] ...

أعتقد أن ابن صاحب الصلاة

(١) عبد الواحد الماركشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب (المكتوب عام 621) مطبعة الثقافة – سلا – المغرب الأقصى 1357-1938 ص 172.

صاحبنا المحدث، كان ممن شملهم المنصور بحمايته وعنايته ورعايته وهو يؤلف كتابه العظيم هذا : شرح الأحكام ، معتمدًا فيه فقط على ما قال الله ورسول الله، بعيدًا عن مدونة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادر ابن أبي زيد ومختصره وتهذيب البرادعي وواضحة ابن خبيب وما شابه هذه التآليف أو نحوها مما تعرضت منه الأحمال إلى ألسنة اللهب في العاصمة العلمية : فاس على ما يحكيه شاهد عيان !

فالتأليف الذي بين أيدينا تأليف ينبغي أن يقرأ على هذا الأساس، فما هو الجديد في أسلوبه؟

الكتاب أولاً يعتمد على صحيح الإمام مسلم في منطلقه ونحن نعلم أن المغاربة يقدمون مسلمًا على البخاري في الأصحية حسبما تدل عليه أكثر من إشارة سواء فيما حمله تأليف الإمام المازري المعنون بالمعلم بفوائد مسلم أو تأليف القاضي عياض : إكمال المُعلم بفوائد مسلم ، أو الإمام القرطبي : المفهم في شرح مسلم [1]

وقد كاد تأليف ابن صاحب الصلاة يحمل اسمًا على نحو المعلم أو المكمل، فهو على كل حال كتاب في خدمة الصحيحين وخاصة صحيح الإمام مسلم...

وبالتتبع وجدناه ، حسبما توفرنا عليه من المخطوط ، يعلق على نحو أربعة وعشرين حديثًا صحيحا معتمدا في تعاليقه على معظم المصادر التسعة التي أشرنا إليها في بداية الحديث .

الحديث الأول :

حديث النبي صلى الله عليه وسلم:" لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء يبرأ بإذن الله ".

لقد نقل ابن صاحب الصلاة هنا عن القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد مسلم [2] ما يتصل بضبط كلمة الداء والدواء من الوجهة اللغوية ثم ينقل

(١) تحقيق الشيخ محمد الشاذلي النيفر لكتاب "المعلم" تأليف المازري الدار التونسية للنشر 1988ص 184-188.

(٢) حقق هذا التأليف حديثا من لدن الدكتور يحيى إسماعيل 1419=1998 ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ج.م.ع المنصورة الجزء السابع ص 111.

عن الإمام المازري في كتابه المعلم بفوائد مسلم ما يشهد لصحة هذا الحديث الشريف فإن الأطباء يقولون : إن المرض يعني خروج الجسم عن المجرى الطبيعي ، والمداواة تعني رد الجسم إلى ذلك المجرى، وهنا نستدل بقول (أبو قراط) الذي يرى أن الأشياء تداوى بأضدادها إلى آخر النص الكامل الذي نورده على حدة .

الحديث الثاني :

حديث أسماء أنها كانت تؤتَي بالمرأة الموعوكة (بالحمى) فتدعو بالماء فتصبه في جيبها وتقول : إن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أبردوها بالماء وقال: إنها من فيح جهنم ..

وشرحًا لهذا الحديث يستمد ابن صاحب الصلاة من القاضي عياض في تأليفه سالف الذكر الذي ينقل عن الموطأ عبارة (بينها) أي بين الموعوكة وبين جيبها ، قال عيسى ابن دينار تصبه بين طوقها وجسدها إلى آخر النقل[1].

وبعد شرح عياض يأتي ابن صاحب الصلاة بشرح الباجي في المنتقى نقلاً عن ابن دينار كانت أسماء تأخذ الماء وتصبه فيما بين طوقها وجسدها [2] ..إلخ.

ويعود ابن صاحب الصلاة للنقل عن المازري في المُعلم[3] .. وكان الجديد في هذا النقل أن ابن صاحب الصلاة يتعمد مناقشة بعض الأطباء الذين لا يرون من وجهة نظرهم استعمال المحموم للاغتسال بالماء البارد باعتباره يؤدي للخطر والهلاك .. وهنا يضيف ابن صاحب الصلاة رأيه فيما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وفيما أضافه بعضهم مما لم يكن

---

(١) عياض : المعلم 121,7-122.

(٢) الجزء السابع المنتقى ، شرح موطأ إمام دار الهجرة مالك بن أنس طبع العاهل المغربي المولى عبد الحفيظ بمصر 1333 مصر ص 263.

(٣) يلاحظ أن مخطوطة ابن صاحب الصلاة تحتوي على زوائد لا توجد في الطبعة التونسية.

من قول الرسول عليه السلام ويبين رأي الأطباء حول الموضوع رداً على الملاحدة !

ويتخلص ابن صاحب الصلاة تزكية رأيه اعتماداً على ما ورد عند ابن عبد البر في الاستذكار، يتخلص إلى نقل عن ابن بطال حول شرح حديث أسماء المتعلق بإبراد الحمى بصب الماء على جسد المحمومين وأنه يختلف حسب ظروف المصابين[1] .. وكل هذه النقول كان الهدف منها شرح الحديث الشريف ورفع اللبس الذي قد يشوش على القصد.

الحديث الثالث :

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أخي استطلق بطنه فقال رسول الله عليه وسلم : اسقه عسلاً فسقاه ثم جاءه فقال : إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقا ، وقال له بعد الرابعة : صدق الله وكذب بطن أخيك، اسقه عسلا فسقاه فبرئ .

هنا عند هذا الحديث يبتدئ ابن صاحب الصلاة بنص ابن بطلان الذي يستنبط من الحديث أن تأثير الدواء قد يتأخر ، إلى آخر النص الذي سنأتي عليه في نهاية البحث[2].

ثم ينقل عن عياض نصه حول أن القصد إلى أنه شفاء بعض الناس دون بعض ، وتخلص إلى نقل آخر عن ابن بطال يشير إلى هذا المعنى وهو أنه أي الشفاء يكون على حسب ما تقتضيه حالة المريض بمعنى أن الحديث ليس على إطلاقه ، وقد جاء في القرآن نفسه ما لفظه العموم والمراد به الخصوص ..

ويختم الكلام عن حديث العسل بما أورده الإمام المازري في المعلم حول الحقيقة في أمر تناول العسل ودفع

---

(١) لم يقدر لنا أن نجد ابن بطال إلا عندما زرنا المدينة المنورة شوال 1419 هـ = فبراير 1999م ، حيث وقفنا على صورة من النص المذكور في مكتبة الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله ونحن نغتنم هذه الفرصة لتقديم الشكر لأبنائه وخاصة الشيخ عبد الباري ، انظر صفحة 13 من مخطوطة المدينة .

(٢) انظر مخطوطة المدينة ص 3و11.

الإشكال الذي يورده بعض الأطباء حول هذه الوصفة مما سنورده في النص، ويظهر الإمام المازري هنا طبيبًا في الوقت نفسه الذي يدافع فيه عن مصداقية قول الرسول صلى الله عليه وسلم [1]...

الحديث الرابع :

(إن في الحبة السوداء شفاءً من كل داء) ويبتدئ في شرح هذا الحديث الذي أورده الإمام مسلم كذلك بنقل نص الإمام عياض في المعلم وهو يفسر أولاً أن القصد بالحبة السوداء هو الشونيز الذي ينطق به المغاربة شانوز بفتح الشين .. وربما كان هو ما يسمى في بعض بلاد المشرق بالبطم أو الضرو وبعد تحقيق في اللفظ ينقله عن المازري يعود لعياض الذي اهتم برأي الأطباء حول الحبة السوداء مقارنة مع ما ورد في الحديث الشريف معتمدًا في ذلك على معلومات للطبيب اليوناني المعروف جالينوس، وهي جميعها تؤكد فعالية تناول الحبة السوداء للرجال والنساء على السواء ..

الحديث الخامس :

(التلبينة مجمة لفؤاد المريض)

والتلبينة نوع من الحساء، وكلمة مجمة تعني تزيل انقباضه، وهنا ينقل عن القاضي عياض وعن الإمام المازري الذي يتحدث أيضا عن أثر السفرجل في التسلية عن القلب كذلك

الحديث السادس :

عن سعد بن أبي وقاص : مرضت مرضًا أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي فقال: إنك رجل مفؤود (فأت الحارث بن كَلدة أخا ثقيف فإنه يتطبب،فليأخذ سبع مرات من عجوة المدينة فليُجاهن ..)

وحول الحديث ينقل عن الخطابي

---

(1) يلاحظ هنا بعض الفرق بين ما يوجد عند المازري مطبوعًا وبين ما رتبه ابن صاحب الصلاة في مخطوطته على ما سنرى عند إيراد النص الكامل .

في كتابه غريب الحديث [1] حول معنى المؤود وأنه على نحو المرؤوس المصاب في رأسه والمبطون والمصدور.. ثم ينقل عن ابن بطال حول وضع اليد على المريض تأنيسًا له وملاطفة ، ويعود للنقل عن الخطابي الذي شرح بقية الحديث المروي عن سعد : فليجاهن ...

الحديث السابع :

حديث عائشة : لددنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فأشار ألا تلدوني، فقلنا كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: لا يبقى أحد منكم إلا لد غير العباس فإنه لم يشهدكم !

وعن شرح هذا الحديث ينقل ابن صاحب الصلاة عن القاضي عياض حول كلمة اللدود: التي تعني ما يُصبُّ في أحد جانبي فم المريض ، كما ينقل عنه أيضا أن سيدنا عمر بن الخطاب أخذ بهذا الحديث : (لا يبقى أحد منكم إلا لد)، أخذ به في قتل من تمالأ على قتل الغلام بصنعاء [2] .

وحول الاقتصاص ممن قاموا بلد رسول الله على كره منه نقل عن ابن بطال الذي يذكر أنه أشار في آخر كتاب الديات إلى هذا المعنى أي إذا أصاب قوم من رجل هل يقتص منهم جميعهم ؟

الحديث الثامن :

قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أم قيس دخلت بابن لي على رسول الله عليه وسلم وقد أعلقت عليه من العُذرة (أي رفعت لهاته بأصبعي

(١) نشر غريب الحديث مؤخراً بتحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى بمكة المكرمة 1402 ص 196-195 التعليق رقم ١، هذا ويظهر أن ابن صاحب الصلاة ينقل أحيانًا من تآليف أخرى للخطابي.

(٢) الإشارة إلى الحديث الذي رواه عبد الرزاق (477,9) باب النفر يقتلون الرجل،وفيه أن امرأة من صنعاء غاب عنها زوجها وترك في حجرها ابنا له من غيرها يقال له أصيل، فاتخذت المرأة بعد زوجها خليلا فقالت : إن هذا الغلام يفضحنا فاقتله فأبى فامتنعت منه، فطاوعها فاجتمع على قتل الغلام الرجل ورجل آخر والمرأة وخادمها فقتلوه ثم قطعوه أعضاء وجعلوها في عيبة فطرحوه في ركية بناحية القرية، فلما بلغ عمر خبره قال : والله لو أن أهل صنعاء اشتركوا في قتله لقتلتهم جميعا .. قال ابن حجر في الفتح إسناده جيد) (12-191) .

عياض : إكمال المعلم ج 7 ص 123 تعليق 5.

لعذرةٍ أي لوجع حلق أصابه) .

هنا نجد ابن صاحب الصلاة ينقل عن المازري الخلاف في معنى الإعلاق كما ينقل عن عياض حول معنى الإعلاق والعذرة ، وينقل عن الخطابي وعن ابن بطال وقد نهى رسول الله عن الطريقة التي سلكتها أم قيس لعلاج ابنها من العذرة.

الحديث التاسع :

قوله صلى الله عليه وسلم : " عليكن بهذا العود الهندي (القسط) فإن فيه سبعةَ أشفية منها ذات الجنب ومنها العذرة .

وهنا نقل عن عياض الرد على من أنكر التشفي بالقسط، واستدل بما قاله ديسقوريدوس وجالينوس وابن سينا وهم- أهل دراية بصناعة الطب.

الحديث العاشر :

قوله صلى الله عليه وسلم للذي سأل عن الخمر وقال : إنما أصنعها للدواء فقال إنه ليس دواءً ولكنه داء ...

وهنا ينقل عن أحد تآليف الخطابي الرأي حول الخلاف في التداوي بالخمور[1] ...

الحديث الحادي عشر :

نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدواء الخبيث ، ويبين أن الدواء الخبيث يأتي خبثه من وجهين : أحدهما خبث النجاسة ... ثانيهما من الطعم والمذاق .

الحديث الثاني عشر :

قوله صلى الله عليه وسلم الكَمْأَة وماؤها شفاء للعين [2]...

الحديث الرابع عشر :

إن خير ما تداويتم به الحجامة والسعوط واللدود والمشِي[3] ، وهذا على الطرة يسار الصفحة 163.

الحديث الخامس عشر:

عن جابر بن عبد الله قال : رُمِيَ أُبَى يوم الأحزاب على أكحله فكواه رسول

---

(١) يراجع باب في الأشربة من السفر العاشر .

(٢) تراجع الصفحة 39 من مخطوطة ابن صاحب الصلاة السفر العاشر باب في الأطعمة.

(٣) القصد بالمشي بكسر السين إلى المسهل وليس إلى المشي بتسكين الشين ولو أنه علاج كذلك .

الله صلى الله عليه وسلم. وهذا الحديث أيضًا على الطرة يسار الورقة 163.

الحديث السادس عشر :

الشفاء في ثلاث : في شـــرطة محجم أو شربة عسل أو كية بالنـــار وما أحب أن أكتوي .

وحول حديث الحجامة ينقل عن عياض كما ينقل عن الاستذكار لابـــن عبد البر الذي يحيل علـــى مـــا فـــي التمهيد من آثار كثـــيرة فـــي فضـــل الحجامة والتداوي بها وإباحة التـــداوي بكل ما يُرجى نفعه مما يؤلم ومـــا لا يؤلم . كما نقل عن ابن بطال [1] قـــال الطبري:وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحتجم على رأســـه وبين كتفيه حيث يقوم بـــالجمع بيـــن الأحاديث النبوية حول الموضوع.

وحول كرهه هو للاكتواء مـــع تشريعه لأمته ، يســـوق ابـــن بطـــال نظائر مثل عدم تناوله لبعض أنـــواع الطعام لكونه يعافها .

ويخلص ابن صاحب الصلاة بعد هذا إلى موضوع جد مهم هو الرد على بعض غلاة الصوفية الذين لا يقولـــون بتشريع العلاج معتقدين أن كل شـــيء بقضاء وقدر .. وهكذا نجد أن المؤلف يبحث عن كل الدلائل الشرعية التـــي تسنن اســـتعمال الـــدواء للأمـــراض الطارئة، وأن الله الذي أنـــزل الـــداء أنزل الدواء، وهو مثل الأمر بالدعـــاء لنا في الأمور، والأمر بـــالتوقي مـــن المعاطب مع أن الأجل لا يزاد فيه ولا ينقص، ثم ينقل عن ابن رشد في البيان والتحصيل حول التـــداوي بالحجامـــة وقطع العروق [2] مؤكدًا أنه لا يوجـــد تناقض أبدًا بين العلاج وبين التوكـــل كما ينقل عن الخطابي ، ومـــن جهـــة أخرى فإن ابن صاحب الصلاة يزيـــف رأي بعض الملاحدة الذين يحـــاولون التشكيك فيما ورد عن الرسول صلـــى الله عليه وسلم حول بعـــض النـــوازل الصحية مؤكدًا أنه قل ما يوجد في علم

(١) مخطوطة المدينة المنورة التي وجدتها في المكتبة الخاصة للشيخ حماد الأنصاري رحمه الله ص4-5 .

(٢) البيان والتحصيل لابن رشد ج 18 دار الغرب الإسلامي ص 441-443.

الافتقار إلى التفصيل مثل ما يوجد في صناعة الطب حتى إن المصاب بمرض قد يكون هذا الدواء نافعًا له في هذه الساعة ثم يعود داء في الساعة التي تليها لعَارض يتجدد ، والأطباء مجمعون على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمن والعادة والغذاء على ما يذكره القاضي عياض رحمه الله .

الحديث السابع عشر :

كنا نرقى في الجاهلية فقلنا يا رسول الله : كيف ترى ذلك ؟ فقال : اعرضوا عليَّ رقاكم ،لا بأس بالرقَى ما لم يكن فيها شرك .

وهنا يأتي بنص للباجي في المنتقى[1] ويؤكد أنه لا خلاف في جواز الرقى بأسماء الله تعالي وبكتابه.

ثم ينقل عن المازري ما يعزز الرأي باتخاذ الرقى ما لم تؤد إلى محظور..وهل هي معدودة من السحر أو من الرقية ؟ وختم هذا النقل بما ورد عن " النشرة " وقد حكى البخاري عن سعيد بن المسيب أنه قيل له عن رجل أخذ عن امرأته. أيحل عليه أن ينشر؟ قال : لا بأس به إنما يريد الإصلاح .

الحديث الثامن عشر :

حول الذي رقى الملدوغ بفاتحة كتاب الله فأعطى قطعًا من الغنم : فقال رسول الله : ما أراك أنها (أي الفاتحة) رقية، خذوا منهم واضربوا لي بسهم معكم !..

شرحًا لهذا الحديث يأتي ابن صاحب لصلاة بنص القاضي عياض وبنص ابن بطال [2] ويعود لعياض ليذكر أن موضع الرقية من أم القرآن هو قوله تعالي :" وإياك نستعين " ، يضيف عن ابن بطال الرقية بالمعوذات [3] ويختم هذا بما رواه مالك في الموطأ أن أبا بكر الصديق

---

(١) الباجي : المنتقي ج 7 ص 257.

(٢) هنا في نص ابن بطال أنه يكمل نقصًا في مخطوطة المدينة المنورة التي وقفت عليه في المكتبة الخاصة للشيخ حماد الأنصاري رحمه الله.

(٣) انظر مخطوطة المدينة ص 16.

دخل علـــى عائشـــة وهـــي تشـــتكي ويهودية ترقيها فقال أبو بكـــر ارقـــها بكتاب الله يعني التوراة لأن ذلك كـــلام الله الذي به الشفاء معلقًا عليه بما ورد عنـــد الباجي، ثم ابن عبـــد البر عـــن القصد من النفث أو الثقـــل أو النفـــخ الذي يقوم به الراقي على ما ســـنورده في النص ....

الحديث التاسع عشر:

قوله صلى الله عليـــه وســـلم : " يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًـــا لا حساب عليهم وهم الذين لا يســـترقون ولا يكترون ولا يتطيرون وعلى ربـــهم يتوكلون "، فقال عكاشة : أنا منهم يـــا رسول الله ؟ فقال : نعم ، فقال آخـــر وقال : وأنا منهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم: سبقك بها عكاشة !

هنا ينقل ابن صاحب الصـــلاة عن ابن بطال الذي قام بشرح الحديـث نقلا عن الطبري [1] ... وقـــد تخلـــص بعد هذا لموضوع التوكل وهـــل أنـــه يغني عن الأخـــذ بالطريـــق الطبيعي للعلاج والحصول على الغذاء ..وهنـــا يؤكد ابن صاحب الصلاة أن من السنة أن يسعى الإنسان إلى ما لابـــد منـــه من مطعم ومشـــرب وملبـــس لقولـــه تعالى: "وما جعلناهم جسدًا لا يـــأكلون الطعام"![2] .

لقد عالج ابن صاحب الصـــلاة هذا الموضوع بما يستحقه من واقعيـــة وموضوعية حتى لا يقع المؤمن فـــي أخطاء قد تؤدي بـــه إلـــى الخطـــر ، وبماذا نفسر إذن نصح النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي أتـــى ببعـــير وســـأل : أعقلـــه وأتوكـــل أم أطلقـــه وأتوكل ؟ فقال : اعقله وتوكل !!

الحديث العشرون :

حديث عائشة : كـــان رســـول صلى الله عليه وسلم سحر حتى كـــان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن ...

اهتم ابن صاحب الصلاة بـــهذا الحديث الذي روته الســـيدة عائشـــة ، والذي ظل مشغلة للنـــاس ، ويتعلـــق بقضية من أهم قضايا الإسلام ، وهي

(١) مخطوطة المدينة ص 7 .

(٢) الآية الثامنة من سورة الأنبياء.

هل أن النبي سحر ؟ اهتم بها كثيرًا وظهر ذلك فيما أتى به من نقول ونصوص ... وأنا أذكر جيدا أن هذه القضية كانت مجال صراع كبير في الأربعينيات بين الشيخ محمد بن العربي العلوي والشيخ المدني ابن الحسني بمجلس السلطان محمد بن يوسف في أحد شهور رمضان .. فلقد كان الأول ممن زيف أمر السحر بينما كان رأي الثاني أن السحر أمر موجود وواقع ، وقد استمرت أصداء ذلك الصراع طويلا بيننا نحن الطلبة حيث تسربت إلينا تفاصيل المجلس السطاني الذي انتهى إلى تغلب الرأي القائل بأحقية السحر ...

وهنا نرى من خلال النصوص التي أوردها ابن صاحب الصلاة أن هذه المسألة لم تكن من السهولة بمكان وأنها استمرت محل نزاع بين العلماء، وهنا سنقف على رأي المازري ورأي عياض الذي أطنب في الموضوع وكذا ابن بطال الذي نجد له هنا في مخطوطة مكناس ما لم نجده في مخطوطة المدينة التي بتر فيها القسم الخاص بالسحر وكأنها لا ترضى على القول بسحر النبي لما يحدثه ذلك من اضطراب كبير في الآراء بين الناس...!

وقد تخلص بعد هذا التدخل الطويل إلى الحديث عن النشرة التي سبق وأن قلنا إنها نوع من رقية يفك بها السحر ، والانفصال على أنها جائزة لتخليص الناس من شرور السحر ، وقد ورد في قول عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم : هلا تنشرت ؟ ويذكرون من ذلك أن يأخذ المرء سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ويخلطه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والمعوذات ثم يحتسي منه ثلاث حسوات ويغتسل به فإنه يذب عنه كل ما به ...

الحديث الواحد والعشرون :

قوله صلى الله عليه وسلم : العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين وإذا استغسلتم فاغتسلوا ".

وعن هذا الحديث أيضاً يستدل بما رواه عن المازري الذي يذكر أن الجمهور من علماء المسلمين أخذوا بظاهره بالرغم من إنكاره من لدن طوائف من المبتدعة، وقد نقل ابن صاحب الصلاة أن بعض الطبائعيين المثبتين للعين أن العائن تتبعث من عينيه قوة سمية تتصل بالمعيون إلى آخر الحديث الطويل الذي استدل فيه أيضًا بنصوص القاضي عياض والباجي والمازري الذي بيَّن كيفية الوضوء بالنسبة للعائن، وقد عاد إلى عياض الذي تمم الكلام على ما يتعلق بغسل العائن على نحو ما قالته البقية من الفقهاء والمحدثين أمثال ابن رشد والباجي وابن عبد البر وابن بطال .

وتنتهي النصوص الواردة إلى ضرورة اجتناب العائن والحرز منه بل وأمر الإمام له بالتزام بيته لأنه أصبح في حكم المجذومة التي منعها عمر بن الخطاب من الطواف !!

الحديث الثاني والعشرون :

رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة !

والحديث كما نرى يتعلق أيضا بالإصابة بالعين، وهنا نجد ابن صاحب الصلاة يستعين على إظهار الأحكام بما ورد عن الرواة وعن البادي، وأن النبي دعا عامر ابن ربيعة وتغيظ عليه قائلا : علام يقتل الرجل أخاه؟ ألا بركت ؟ أي ألا قلت: تبارك الله ... إلى آخر النصوص .

الحديث الثالث والعشرون :

لا يورد ممرض على مصح : والقصد إلى أن الممرض أي صاحب الماشية المريضة لا ينبغي له أن يختلط مع صاحب الماشية الصحيحة فيؤذيه ...

وهذا موضوع آخر يتعلق بالعدوى حيث نجد نقولاتٍ جد مهمة عن الباجي[1] الذي يطرح موضوع : هل أن الحديث منسوخ بالحديث

(١) الجزء 7 ص 264-265 .

الآخر: لا عدوىَ .. وماذا يعني قولـه صلى الله عليه وسلم : فرَّ من المجذوم فرارك من الأسد " .

ويأتي ابن صاحب الصلاة بعد هذا بما أورده المازري حول الموضوع محاولاً الجمع بين مدلول الحديث الذي يفرض حظر اتصال المرضى بالأصحاء والحديث الذي يقول : لا عدوى .

ويختتم ما يوجد من مخطوطة بمكناس بالنقل عن ابن بطال : وزعم بعض أهل البدع ، ويقصد به إلى الجاحظ عن النظام حسبما يوجد في مخطوطة ابن بطال بالمدينة المنورة ، أقول زعم ذلك البعض أن قوله عليه السلام لا عدوى يعارض قوله " لا يورد ممرض على مصح"كما يعارض " فر من المجذوم فرارك من الأسد" ... وقوله لا عدوى إعلام منه لأمته أنه لا تأثير لذلك حقيقة ، وقوله لا يورد ممرض على مصح نهى فيه للمريض أن لا يورد ماشيته المرضى على ماشية أخيه الصحاح لئلا يتوهم المصح أن مرض ماشيته الصحيحة إنما حدث من أجل ورود المرضى عليها فيكون ذلك داخلاً في وهمه [1] .

عبد الهادي التازي

عضو المجمع من المغرب

(١) هنا تقف مخطوطة مكناس حيث تستمر مخطوطة المدينة المنورة في الحديث ضمن باب بعنوان باب الجذام وفيه عن أبي هريرة قال النبي عليه السلام : لا عدوى ولا طيرة ...